

الفصل الثاني

أشكال من المراهقة

في مصر

إن أول ما دات عليه الدراسة المقارنة لحالات البحث ، هو التعمد الواسع للأشكال والصور التي اتخذتها صراقة الأفراد المختلفين - حتى لتكاد كل حالة من الحالات المدروسة أن تباين كل حالة غيرها في جانب أو آخر من صورة المراهقة ، وحتى ليمكن القول بأن عدد الأنماط المختلفة في المراهقة لا يقل كثيراً عن عدد المراهقين أنفسهم ! .

فلم يكن كافياً لتحديد صورة المراهقة أن ينتمى المراهق إلى القرية أو إلى المدينة ، أو أن يسلك خط التعليم الديني أو المدني . فإلى جانب ثقافة المجتمع المحيط وثقافة مهاد التعليم ، كانت هناك عوامل أخرى متمثلة أكثر تخصيصاً وأقرب اتصالاً بالخطوط والملامح المميزة لصورة المراهقة - عوامل مثل الظروف المادية والنفسية لكل مراهق ، والطابع المميز الذي الذي طبع علاقاته في الأسرة وفي شجوعاته الضيقة الأخرى ، وتاريخه التطوري ، وخبراته الخاصة في المراهقة وما قبلها . . وعوامل أخرى تتصل

بشخصيته وبنائه الجسمي النفسي . وبهذا تمدر أن تتشابه مراهقة فردين من كل الوجوه أو حتى من أغلب الوجوه . وبهذا أيضاً كانت المقارنة بين الحالات المختلفة عملية على درجة كبيرة من الصعوبة والتمقيد والتشابك ! وبإزاء ذلك ، فإن التقسيم الذي يمكن الاتجاه إليه في دراسة الحالات المختلفة لا يمكن إلا أن يكون تقسيماً إلى فئات واسعة وأشكال عامة في المراهقة ، وليس إلى أعماق ضيقة متمايزة تماماً . ويستهدف مثل هذا التقسيم جميع الحالات التي تتشابه في مجموعة من السمات البارزة ، لمعرفة التشابه أو الاختلاف في العوامل والظروف التي أنتجت هذه السمات المشتركة . . . وقد أمكن ، بهذه الطريقة ، استخلاص أربعة أشكال عامة للمراهقة في مصر ؛ لا نقول إنه لا يوجد تداخل بينها ولا أن حالات الشكل الواحد منها تنطبق تمام المطابقة .

هذه الأشكال العامة هي :

الشكل الأول : المراهقة التكيفية :

وعدد حالاته في البحث ١١ حالة .

الشكل الثاني : المراهقة الانسحابية المنطوية :

وعدد حالاته في البحث ١٤ حالة .

الشكل الثالث : المراهقة العدوانية المتفردة :

وعدد حالاته في البحث ١١ حالة .

الشكل الرابع : المراهقة المنحرفة (وهي الصورة المبالغة للشكلين
الثنائي والثالث) :

وعدد حالاته في البحث ١٠ حالات .

وبالإضافة إلى هذه الأشكال الأربعة ، وجدت حالات المراهقة التي
لم تثبت على حال واحد ، والتي تغيرت صورتها بتغير ظروفها ، وعددها
٩ حالات . وكذلك الحالات التي لا تندرج تحت شكل واحد ، والتي
جمعت بين ملامح شكلين أو أكثر ، وعددها ١٣ حالة .

وسنناقش في بعض الفصول التالية كلاً من هذه الأشكال ، لتوضيح
سماتها المميزة والعوامل الفعالة فيها . . على أننا نحسب ، قبل الدخول في هذه
المناقشة ، أن نوضح أمراً هاماً — وهو أن كل عامل من العوامل التي
تسكيف بها المراهقة ليست له ، على حدة ، قيمة كبيرة وإنما يتوقف
أثره على مجموعة العوامل الأخرى التي قد توجد إلى جانبه وعلى الطريقة التي
تتفاعل بها العوامل معاً . وبعبارة أخرى فإننا قد نقابل عاملاً مثل (س)
في أكثر من شكل واحد من أشكال المراهقة ، ولكن وجود هذا العامل
مع العاملين (ص) ، (ع) يجعل المراهقة تختلف في صورتها وشكلها عن
وجوده مع عاملين آخرين مثل (ل) ، (م) .

فإذا اعتبرنا عاملاً مثل ترتيب المراهق بين إخوته (كأن يكون أكبرهم
أو أصغرهم أو أكبر الذكور الخ . .) فإنه يصعب التنبؤ من معرفة هذا
الترتيب وحده ، بما يمكن أن يكون له من أثر في تسكيف المراهقة — ذلك
أن هذا الترتيب لا يعمل دائماً بطريقة واحدة وإنما يختلف عمله باختلاف

بعض العوامل الأخرى ؛ مثل ثقافة الوالدين ، ونضجيهما الوجداني ،
وما لديهما من مفاهيم تتعلق بترتيب أحمد الأبناء أو جنسه . . . ليس هذا
فحسب ، بل لقد تختلف معاملة اثنين من الآباء لابنهما الأكبر — مثلاً —
فيصرف الواحد في تدليله ويسرف الآخر في القسوة عليه ، وكلا الأبوين
يستهدف التخصيص في رعاية الابن الأكبر — كل من وجهة نظره ! . . .
ولقد يحظى أحد الأبناء من غير ذوى الترتيب الممتاز برعاية لا يلقى مثلها
أخ له متميز في الترتيب ؛ وذلك لسبب مرض الأول المتكرر أو تفوقه
في بعض الاستعدادات التي تصيب اهتمام أحد الوالدين أو كليهما . . . إلى
غير ذلك من الظروف التي يمكن أن تحيط بالوضع الخاص للمراهق
في الأسرة ، فتجمل له معنى خاصاً في كل حالة ، ويختلف بالتالي تأثيره
في صورة المراهقة .

وما يقال عن الترتيب بين الإخوة يقال مثله عن أى عامل فرد
في المراهقة ، كالنجاح الدراسي ، أو التنشئة الدينية ، أو المستوى الاقتصادي
للأسرة . . . فالمراهقة هي محصلة كل هذه العوامل وغيرها . وصورتها
النهائية لا تعتمد على شدة العوامل المختلفة فحسب ، بل على ما يقوم بين
هذه العوامل من علاقات كذلك .

من أجل ذلك رأينا أن تتبع الدراسة التحليلية (التي ستلى) لكل
شكل من أشكال المراهقة ، بموجب لبعض حالات هذا الشكل — حتى
يستبين من الأمثلة الطريقة التي تتشابه بها العوامل المختلفة ، فتنتج صورة
معينة من صور المراهقة .